

الخطبة رقم ٢٩

غزوة الأحزاب ودروس الثبات

الخطبة الأولى والخطبة الثانية التابعة لها

من كتاب خطب الحمد والثناء

الحمد لله باسط الرحمة ودافع النعمة المجيب لمن دعاه الكافي لمن استكفا سبحانه وتعالى سلب أهل المعاصي عز الطاعة وأبسهم لباس الذل والمهانة ، ورفع الله شأن المتقين وزودهم ب زاد التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خلق الخلق لعبادته وشرع لهم الدين على ألسن المرسلين وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحابه والتابعين ..

أما بعد .. أيها الناس : التاريخ سجل حافل بلباب الحديث وصور حية لمعاني البذل والتضحية والجهاد ، يدعو للسير الحثيث في ركب أمة سجلت أمجادها وبني صرح كيانها ، حقيقة الصدق والوفاء بالعهد والميثاق والتفاني لأجل الله وفي سبيله وطلب مرضاته ، هذه ملامح المجد الخالد وعوامل صرحه ومواد بناه ، صدق العزيمة والوفاء بالعهد والميثاق ، والتفاني لأجل الله ، وطلب مرضاته .

لنستعرض من هذه العناصر في أخطر غزو مني به المسلمون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ظهراي صحابته الكرام ، تلكم هي غزوة الأحزاب ، بها أنزل الله سورة في القرآن

يقول تعالى في السورة الكريمة (يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً* إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً) وفيها يقول تعالى (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً* من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً* ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً* ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً* وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب * فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً * وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً) .

غزوة الأحزاب كانت في شهر شوال من السنة الخامسة من الهجرة وهذه الغزوة أثارها خلاصة الحقد الكامن في نفوس المشركين ونتيجة لمرارة الأسى المتغلغل في أكباد اليهود على

المسلمين ومن وراء أولئك المنافقون أصحاب السر الممقوت
والحدلقة المشوبة بسوء الطوية للنيل من المسلمين (إذ جاؤوكم من
فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر
وتظنون بالله الظنونا) نعم لقد عظم الخطب على المسلمين
وتراءى لهم أنها ضربة لازب على بيضة الإسلام ومقل الهداية
ودار المهاجرين (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً)
ولكن مقاييس النصر وعوامل الانتصار في ميزان الله الشرعي
فوق التصور والإدراك البشري المحدود وفي قدرة الله تعالى إن
يسلب القوى المعادية للإسلام لينخرطوا في سلك الإيمان ، وفي
قدرة الله أن يرى المسلمين مصارع القوم بتسليط أضعف جند
على الأرض ، ولكنها الحكمة الربانية وسنة الله في خلقه ولن تجد
لسنة الله تبديلاً (يلعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي
عزيز) .

غزوة الأحزاب كانت مؤذنة بالتخلص من الشرذمة الملعونة في
القرآن، يهود بني قريظة الذين انطبعت سجايهم على الخيانة
والحسد ودقة المؤامرة والخفر بالعهد والميثاق .

لقد تألب الغزو المعادي لمركز الإسلام المنبعث من لواجم الحزن
ومرارة الأسى لقيام الدولة الإسلامية وانتصارها في بدر وأحد
وامتداد نفوذها وكثرة أنصارها ، لقد حشدت قريش وغطفان
عشرة آلاف مقاتل وسعى حيي ابن أخطب لدى اليهود أن ينقضوا
العهد المبرم مع محمد وصحبه فكان له ما أراد .

وقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم صحابته في شأن هذا
الغزو والمشيب من هوله المولود فأشار سلمان الفارسي بضرب
الخنق على المدينة فاستحسن الناس رأيه وسعوا في ذلك فور
صدور أمره صلى الله عليه وسلم ، فلما رأت قريش هذا عجبوا
له وهالهم أمره فحاصروا المدينة حصاراً طال أمده ولم يعملوا
شيئاً ثم جاء نعيم ابن مسعود وقد أعلن إسلامه فقال عليه الصلاة
والسلام خذل عنا القوم ، وقال الحرب خدعة ، فسعى نعيم بدهائه
وخبرته حتى فرق كلمة اليهود مع العرب من قريش وغطفان ،
فحمد مساعيه المسلمون وقصته مشهورة ، وبعد أن زلزل الله
المشركين وأرسل عليهم الريح تكفى قدورهم وتلعب بنيرانهم
وتقوض خيامهم ، سلم أبو سفيان الوضع فأعلن أنه راجع وركل
بعيره ولم يحل عقاله إلا وهو واقف وتبعه جيشه ولم يحصل
سوى مناوشات وكفى الله المؤمنين القتال ، ولما أصبح رسول الله

صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة
والمسلمون ووضعوا السلاح فلما كانت الظهر أتى جبريل عليه
السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أوقد وضعت السلاح
يا رسول الله قال نعم ، قال جبريل فما وضعت الملائكة السلاح
بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم إن الله عز وجل يأمرك
يا محمد بالسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمززل بهم فأمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذناً فأذن في الناس من كان
سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة ، فخف المسلمون
وتراكموا السير ، وحاصروا بني قريظة خمساً وعشرين يوماً ثم
نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم عليهم بحكم الله من فوق سبع
سماواته، أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء،
فأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، بحفر الخنادق في أفواه السكك
وتقتيل من بلغ منهم وكانوا ستمائة رجل وقيل تسعمائة رجل فكان
ذلك الحكم من الرجل الذي اهتز له عرش الرحمن عند موته
(سعد بن معاذ) كان فصل الخطاب رضي الله عنه وأرضاه .

أيها المسلمون : اتقوا الله حق التقوى واستمسكوا من الإسلام
بالعروة الوثقى واعرفوا دينكم وتصفحوا سجل تاريخكم تفوزوا
وتفلحوا ..

ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ..
أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من
كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الحمد لله الذي أعز الإسلام بنصره وتأييده وأذل المشركين
بسواعد المسلمين وجند الله المخلصين وأشهد أن لا إله إلا الله
الرب الرحيم .. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق في
جهاده ونضاله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد .. أيها الناس : ما الذي أقض مضاجع اليهود وأشغل بال
رؤساء الصهيونية وزعماء الماسونية غير التاريخ الإسلامي
وسيرة المسلمين الصادقين وهم قد حكموا لأنفسهم أنهم شعب الله
المختار وأنهم أبناء الله وأحباؤه ، لا يحق لأية أمة أن يرى مكانها
إلا دونهم أو أن يتقدم لقيادة الشعوب غيرهم ، هذه مفاهيمهم وتلك
ترهاتهم فغريباً في قاموس تاريخهم أن يرمق مكان الأمة
الإسلامية ومن يلهج بذكر محمد ويرفع ذكره من أعلا المآذن
وغريباً في علمهم أن تؤول للأمة الإسلامية القيادة الروحية
والفكرية والتوجيهية وعلى هذا فالداء دفين والعداء قديم .

فاتقوا الله عباد الله وراقبوا الله في السر والعلن واحذروا دسائس اليهود ومكر الكافرين وخذوا الأهبة ليوم الميعاد ، فكلكم محمل أمانة الدين ورعاية الإسلام ، إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ، اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وأصحابه ومن اقتفى أثره واهتدى بهديه .. اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين .

عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .